الخليج العربي . . . . . المجلد الخامس عشر . . . . . العدد (2 - 4) 1983

مجلة علمية يصدرها مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة ـ الجمهورية العراقية

السيادة العربية على شط العرب خلال حكم بني كعب(*)

الدكتور: مصطفى عبد القادر النجار
مدير مركز دراسات الخليج العربي بجامعة البصرة

نجدة فتحي صفوة
مركز الدراسات العربية ـ لندن

كانت الضفة الشرقية من شط العرب منطقة عربية خالصة منذ اقدم الأزمنة، فالأغلبية الساحقة من سكانها عرب، ولغتهم العربية، وقد تعاقبت على حكمها أسر حاكمة عربية، كالمشعشعيين، وبني كعب، واخيرا كانت امارة المحمرة العربية التي اطاح بها رضا شاه في سنة ١٩٢٥. وكانت نسبة العرب بين سكان هذه المنطقة حتى سنة ١٩٢٥ تبلغ ٩٩ بالمائة. على ان هذه النسبة قد تغيرت بعد ذلك بنتيجة الهجرة، واعادة التوطين، وسياسة «التفريس» التي فرضت على المنطقة.

ان الطابع العربي للمنطقة كان السبب في تسميتها «عربستان»، وقد اطلق هذا الاسم عليها الفرس انفسهم، وكان الاسم الذي عرفت به ووصف به دائما، وهولم يغير الى «خوزستان» الا في وقت قريب، وهوسنة ١٩٢٥، ولكن **هذا الاسم الأخير بقي محصورا في الاستعمال الرسمي، في حين أن الاسم «عربستان» ظل سائداً في الاستعمال اليومي العام في ايران، من قبل سكان المنطقة وخارجها.**

ويتناول هذا البحث احدى الفترات المهمة في تاريخ الخليج العربي، وهي فترة ظهور حكم «بني كعب» في منتصف القرن السابع عشر كقوة جديدة حول شط العرب. فقد استطاعت هذه القوة العربية ان تقوم بدور فعال في حياة شط العرب وتفرض سيادتها على ربوعه وتتعرض لكل قوة تحاول التصدي لمنطقة نفوذها او تعمل على سلب حقوقها[1].

* بحث قدم الى الندوة العلمية عن «العراق المعاصر: شط العرب» التي اقيمت في جامعة اكستر من ٢٣ الى ٢٦ تموز ١٩٨٢.

(١) للاطلاع على ماكتب عن بني كعب تاريخيا وجغرافيا، راجع:

Ainsworth, W.F.A., Personal Narrative of the Euphrates Expedition (London, 1888)

Curzon, George N., Persia and the Persian Question (London, 1892)

Niebuhr, C., Voyage en Arabie et en d'autre pays circonvoisin (Amstrdam, 1776)

Lorimer, J.G., Gazeteer of the Persian Gulf, Oman and Central Arabia (Calcutta, 1908) =

كانت قبيلة «بني كعب» قد انتقلت من فروعها في العراق سعيا للاستقرار والاستقلال[٢]، ويذكر «لونكريك» انها كانت تزرع الحبوب وتربي الحيوانات[٣]، وانها استطاعت ان تسهم في تنمية الحياة الاقتصادية وازدهارها. وقد نال بنو كعب المساعدة من امارة «المشعشعيين» العربية (امارة الحويزة) المجاورة التي سبق ان قدم اميرها[٤] ولاءه الى السلطان العثماني سليمان القانوني ـ عندما فتح العراق فأقر في منصبه. ولكن ذلك الامير ظل متذبذبا في ولائه[٥] بين المعسكر العثماني والمعسكر الفارسي محافظا على استقلال امارته، وقد سيطر على شط العرب لدرجة أنه لم يتح لسفينة أن تمر الا بعد أن تدفع ضريبة لوكيله[٦].

وبدخول بني كعب الى الفلاحية، احدى مدن عربستان، بدأت امارة المشعشعيين بالزوال بعد حكم دام زهاء خمسمائة عام، فقامت على انقاضها الامارة الكعبية[٧] التي اخذت قوتها تنمو نموا سريعا، وبدأت تتسع مناطق نفوذها من جهة الشمال والشرق، وقد تذبذبت هي الأخرى في ولائها السياسي بين العثمانيين والفرس ولم تخضع بصورة فعلية الى اي منهما ـ شأنها في ذلك شأن امارة المشعشعيين العربية ـ وبذلك استطاع الكعبيون وسط الصراع الناشيء في المنطقة بين الفرس والعثمانيين ان يثبتوا وجودهم عاملا اساسيا للأمن والاستقرار، وضرورة ملحة لتأمين الملاحة والتجارة في شط العرب عبر الخليج العربي، وقيادة القوافل البرية، فحقق هذا الموضوع لهم مركزا ممتازا بين الامبراطوريتين المتصارعتين، مما دفع كلا منهما الى التقرب اليهم وكسبهم الى حظيرتها. كما طالب كل فريق منهما بدف ضريبة سنوية.

لقد ألزم موقع بني كعب المائي على شط العرب والخليج العربي شيوخها ان يستعينوا على معاشهم ـ الى جانب ما تنتجه اراضيهم من تمور وغلات اخرى ـ ببناء اسطول بحري كبير عد من الاساطيل الضخمة في الخليج العربي خلال القرن الثامن عشر. وقد استطاعوا ان يدعموا به استقلال امارتهم الناشئة، وتمكنوا بوساطته من الهيمنة على جزر شط العرب وشواطئه كافة ووصلوا الى حدود البصرة[٨] وظلوا مصدر قلق لولاتها العثمانيين طيلة فترة حكمهم.

Al-Najjar, Mustafa & Amin, Abdul-Amir M., Bussorah Diaries, Vol. I (Baghdad, 1980)

أحمد كسروي تبريزي، تاريخ بند ساله خوزستان، الفصل الثاني، ص ١٤١ - ٢٧٢.

(٢) القلقشندي - نهاية الارب في معرفة أنساب العرب، ص ٢٣٩، ويبين تقرير سري لدائرة الاستخبارات البريطانية عن العشائر والسياسة: ٤٥، أن بني كعب جميعهم ينتمون الى أصل واحد حتى كعب الساكنة في عربستان. أما عباس العزاوي فيؤيد أنه لا تزال مجموعات كبيرة من كعب في العراق - تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧، ص ٣٩.

(٣) Longrigg, S.H., Four Centuries of Modern Iraq (Oxford, 1925), P. 78

(٤) راجع لونكريك، المرجع السابق، ص ٤١، ويذكر في ص ٦ عن أمير الحويزة أنه سليل بيت عربي ينتمي الى ربيعة.

(٥) عبد الكريم غرايبة، مقدمة في تاريخ العرب الحديث (١٥٠٠ - ١٩١٨) ج ١، ص ٩٩.

(٦) الا ان هذه السيطرة لم يرتح لها العثمانيون، فجرت محاولاتهم لضم الكعبيين اليهم بعد الموقعة التي هزمت فيها جيوش الشاه عباس الأول أمام بغداد سنة ١٥٨٧، أنظر: دائرة المعارف الاسلامية: مادة «خوزستان» - ج ٥ (٩) ع (١): ص ٣٨.

(٧) Ainsworth, op. cit., vol. II, P. 208

Wilson, A.T. The Persian Gulf (London, 1928) P. 187

وينسب الكعبيون الى بني عامر بن صعصعة العربية. وقد اتخذوا في بداية قيام امارتهم مدينة «قيان» العربستانية حاضرة لهم وكانت من ممتلكات الدولة العثمانية حيث أخضعها افراسياب حاكم البصرة له منذ عام ١٥٩٦م. وكان أول أمراء هذه الامارة هو الشيخ علي بن ناصر بن محمد الكعبي الذي تولى الحكم عام ١٦٩٠م. وهو العام الذي يمكن اعتباره بداية تاريخ تأسيس هذه الامارة العربية. أما الانتقال الى الفلاحية فقد تم عام ١٧٤٧ بقيادة الشيخ سلمان بن سلطان.

(٨) عبد الأمير محمد أمين - القوى البحرية في الخليج العربي في القرن الثامن عشر (بغداد، ١٩٦٦) ص ٤١.

والواقع ان مولد الأسطول البحري لبني كعب كان حدثا تاريخيا بارزا من احداث شط العرب والخليج العربي، فقد لعب دورا رئيسيا في مياهها وكان واحدا من القوى الرئيسية التي قامت في الخليج العربي وفرضت سيادتها على قسمه الشمالي، كما كان «القواسم»[٩] سادته في القسم الجنوبي، فاصبح الخليج العربي آنئذ منطقة نفوذ عربية لا أثر لأي سطوة اجنبية فيه.

لقد وصف الذين كتبوا عن بني كعب والقبائل الأخرى التي سيطرت على اوجه النشاط البحري في شط العرب والخليج العربي - لاسيما المؤرخون الانكليز - تلك القبائل بالقرصنة. وهذا حكم يحتاج الى اعادة نظر، اذ أن المد القبلي الذي طفحت به شبه جزيرة العرب دفع هؤلاء وغيرهم الى السواحل بعد ان عجزت الارض عن اعالتهم، وكان من جملة ذلك المد بنو كعب الذين استعملوا بادىء الأمر سفنا صغيرة في استخراج اللؤلؤ وفي صيد الأسماك، كما استعملوها في نقل التجارة بين سواحل الخليج العربي وسواحل آسيا، ولكن منطقة بني كعب كانت الطريق الوسطى بين طرق التجارة الشرقية التي تمر بين عالم المحيط الهندي وعالم البحر المتوسط، ولذلك لم تترك وشأنها، اذ جاءتهم السفن الأوربية الكبيرة لتنافسهم في ارزاقهم وتجارتهم اضطروا الى استعمال صورة مشابهة لما كان يقع بين القبائل من مشاحنات في البر تحولت عند سيطرتهم على البحر الى حروب بحرية، فكانوا يشنون هجمات موفقة على السفن الأوربية، وقد مارست كل من البرتغال وهولندا وفرنسا وانكلترا هذا الأسلوب، الا انهم وصفوه بكونه حروبا بحرية تتم لحساب دولهم[١٠]، ولما كانت القبيلة يمكن اعتبارها وحدة سياسية رسمية في تلك البيئة، فلذا يصح ان يطلق على تلك المغامرات العربية اسم الحروب البحرية ايضا، وغايتها منع الأوربيين وعدم السماح لهم بارتياد مناطق النفوذ العربية في الخليج العربي.

ان تلك المغامرات لم تحدث بسبب رغبتهم في الاستيلاء وضم اراض اجنبية الى ديارهم، ولكنها كانت لأجل الدفاع عن عروبة ارضهم وسيادتها. وهو حق مشروع لبني كعب في ابعاد اي سيطرة اجنبية عن تلك الديار العربية، وعليه يمكن اعتبار حروبهم هذه جزأ من المقاومة العربية التاريخية في شط العرب والخليج العربي[١١]

شهد شط العرب نشاطا كبيرا لبني كعب ايام امارة الشيخ سلمان بن سلطان (١٧٣٧ - ١٧٦٧) الذي يعد اعظم من تولى الامارة في القرن الثامن عشر، فازدهرت منطقة شط العرب ايام حكمه ازدهارا لم تبلغ مثله من قبل، اذ اهتم بتشجيع الزراعة والتجارة في كل المناطق التي تحت حكمه[١٢]، وقد وصف بالشجاعة والذكاء، واستعان بالخبراء العثمانيين، فعزز الاسطول الكعبي ووسعه حتى اصبح يضاهي في القوة الأسطول العثماني في البصرة، وفرض الضرائب على السفن المارة في شط العرب وشمال الخليج العربي - دون استثناء - وحمى المنطقة بالقوة وتمكن من نشر سلطانه على الموانىء الممتدة من جزيرة عبادان الى قرب

---

(٩) القواسم من القوى البحرية التي أحرزت شهرة عظيمة في الحروب البحرية. نزلوا ساحل عمان في النصف الثاني من القرن السابع عشر، وهم من قبيلة عربية تعود بأصولها الى عدنان وبوطنها الى سامراء بالعراق، وتم لهم الاستقرار في وطنهم الجديد فأظهروا قوة متفرقة في القرن الثمن عشر،واتخذوامن رأس الخيمة مركزا لهم. وقد تحالفت كل من بريطانيا وفرنسا وهولندا ضدهم واستطاعت انكلترا السيطرة على مناطقهم سنة ١٨١٩م. وأجبرتهم على توقيع معاهدة سنة ١٨٢٠ التي بموجبها أقيمت مشيخات «الساحل المهادن» السبع، أنظر: تقريرا مطولا في مختارات بومبي المنشورة:

Selection from the Records of the Government of Bombay, No. 24, (Dombay 1856) PP. 290 - 359

راجع ايضاً:

Miles, S.B., The Countries and the Tribes of the Persian Gulf, vol. II, P. 269

(١٠) مصطفى عبد القادر النجار، التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية، ص ٤٤ - ٤٥.

(١١) النجار، د. مصطفى: التاريخ السياسي لمشكلات الحدود للوطن العربي في شط العرب، بصرة ١٩٧٤ ص ٤٧ - ٥٩.

(١٢) وقد اهتم بالري وشيد خزانا كبيرا لتنظيم المياه على نهر كارون، أنظر:

Curzon, op. cit., vol. II, P. 323

مدينة بوشهر كافة. ثم عبر الضفة اليمنى من شط العرب وجعلها من مناطق نفوذه ايضا، واستولى على «الدواسر» التابعة للبصرة وعلى الجزر الواقعة الى القرب من مصب شط العرب. كما شملت سلطة الشيخ سلمان منطقة «كردلان»، وهي من توابع البصرة ايضا، حيث استولى على حصنها، وبذلك امتدت امارته من مدينة الأحواز الى جزيرة «بوبيان» واصبحت على هيئة مثلث بلغ طول ضلعه مئة ميل تقريبا[١٣]. وقد تعرض للملاحة الاجنبية في شط العرب واخذ يعرقلها. وقام بأول تهديد لها عام ١٧٤٧، وقد ورد في سجلات شركة الهند الشرقية ان الشيخ سلمان قد تعرض للسفن القادمة الى البصرة واوقف الملاحة الأجنبية في شط العرب. ولم تسلم حكومة البصرة من تحرشاته ومناوئته لها، فاضطر متسلمها «علي بك» الى مصالحته ومد الجسور معه لترضيته[١٤] كما ان شركة الهند الشرقية صارت تتودد له متهيبة من قوته وسلطته.

وقد كان الشيخ سلمان على قدر كبير من الدهاء والحزم، فأظهر مقدرة فائقة على الحكم، وقد صادف في ايامه ان زار عربستان الرحالة الدنيماركي كارستن نيبور، فوجدنا من كتابه[١٥] وثيقة مهمة تقرر سيادة الشيخ سلمان على منطقة شط العرب ولباقته في التعامل مع كل من الشاه الفارسي والوالي العثماني، ويذكر نيبور «انه كان مسيطرا على كل الجزر ومصبات شط العرب التي كانت تتبع كلها الى البصرة سابقا» وانه لم يكن يدفع شيئا الى كريم خان، فاذا طالبه اعتذر شاكيا عدم قدرته على الدفع ومعللا بتقاضي الاتراك الاموال الطائلة منه. اما اذا طلب باشا بغداد الرسوم منه فانه يشكو امر الفرس معه. وكان يعرف جيدا كيف يجتذب الى جانبه انبل اعيان البصرة، وبذلك استطاع ان يضم قراها اليه الواحدة تلو الاخرى مقابل واردات يؤديها بسخاء الى متسلمها. وكان يتقاضى رسوما كمركية لابأس بها من السفن القادمة الى البصرة، ويفرض عليها ان تشتري تمرا منه عند عودتها الى وطنها»[١٦]

وامتاز عهد الشيخ سلمان باستتباب الأمن والاستقرار حيث قضى على قطاع الطرق وأشاع الطمأنينة في المنطقة وشعر الاهالي بالهدوء والسكينة في عهده مما جعل حياتهم الاقتصادية التي تعتمد على الزراعة والتجارة بشكل اساسي تزدهر ازدهاراً ملحوظاً، لذا فان الشيخ سلمان استجاب لمتطلبات ذلك الانتعاش فبنى سداً للري ليخزن المياه في مدينة «السابلة» الواقعة على نهر كارون تلبية لمتطلبات حاجة سكان الاراضي الزراعية التي تقع حولها.

ونتيجة لذلك الازدهار والنمو والهيمنة على منطقة شط العرب هيمنةً كاملةً اتجهت انظار القوى المجاورة الطامعة في المنطقة الى تلك الامارة العربية الناشئة لتستحوذ على خيراتها وتضمها اليها او لتفرض سلطتها عليها.

فجاءت اول هجمة على الكعبيين من الخارج على يد الفرس، حيث جرد كريم خان الزندي حملة ضخمة وجهها الى منطقة شط العرب، وذلك عام ١٧٥٧ ولكنها منيت بالفشل ولم يستطع الزعيم الفارسي ان يحقق اهدافه ورجعت حملته تجر اذيال الهزيمة وراءها.[١٧]

ولم يثن ذلك العثمانيين عن ان يجربوا حظهم هم ايضا في

---

(١٣) صالح محمد العابد، «امارة كعب العربستانية» الفصل السادس من كتاب بعنوان (الحدود الشرقية للوطن العربي - دراسة تاريخية) شارك فيه مؤرخون عراقيون (بغداد - ١٩٨١) ص ٢٣١.

(١٤) رسول الكركوكلي - دوحة الوزراء: ١٣٣ - ١٣٥.

(١٥) نيبور، المرجع سابق الذكر، ويعد نيبور (١٧٢٣ - ١٨١٥) خير مرجع عن منطقة شط العرب والخليج العربي خلال القرن الثامن عشر وقد مكث في المنطقة للفترة من ١٧٦٤ الى ١٧٦٥ فترك لنا معلومات تاريخية وجغرافية وخرائط مهمة ومنصفة حيث قرر أن المنطقة وما حولها عربية ولا أثر للنفوذ الفارسي فيها.

(١٦) مشاهدات نيبور في رحلته من البصرة الى الحلة سنة ١٧٦٥، ترجمة سعاد هادي العمري (بغداد - ١٩٥٥) ص ٣٥ - ٣٦.

(١٧) Malcolm, The History of Persia (London, 1815), vol. III, P. 76.

حملة جهزها متسلم البصرة عام ١٧٦١ ـ ١٧٦٢ متعاونا مع مقر شركة الهند الشرقية في البصرة، حيث شاركت السفينة الانكليزية «سوالو» مجموعة الزوارق البحرية العثمانية في **محاصرة مناطق بني كعب البحرية في شط العرب ورأس الخليج** العربي ولا سيما في منطقة «خور موسى»، الا ان هذه الحملة عادت دون ان تحقق اي نجاح يذكر بسبب انسحاب الشيخ سلمان الى داخل اراضيه وتركه قوات الغزو تواجه السواحل والمستنقعات(١٨).

ونتيجة لذلك التراجع وتلك الهزائم شهد عام ١٧٦٥ تحالفا غريبا بين الفرس والعثمانيين هدفه القضاء على شوكة ذلك الزعيم العربي الكعبي، وقد وجدوا في انكلترا حليفا لهم.

وكان كل طرف من اطراف ذلك الحلف مدفوعا بمصلحة تختلف عن حليفه:

فالفرس كانوا يطمعون الى ضم تلك المناطق العربية **الى امبراطوريتهم** لما لها من اهمية اقتصادية واستراتيجية كبيرة. والعثمانيون كانوا يبغون الهيمنة عى شط العرب وفرض سيادتهم عليه واستحصال الرسوم من السفن التي تؤمه كافة. اما هدف الانكليز فكان يتجلى بنقل مقر وكالة شركة الهند الشرقية منذ عام ١٧٦٣ من بندر عباس الى البصرة، وهذا يتطلب اقامة علاقات طيبة مع السلطات العثمانية حيث كان السلطان قد منح الشركة صفة دبلوماسية، واعترف بها مؤسسة سياسية. ووافق ان يكون وكيلها قنصلا لبريطانيا في البصرة، ولهذا فانها كانت تبغي ان تكون على علاقات ودية مع السلطات العثمانية في البصرة، مما جعلها تستجيب لنداء باشا بغداد لاسناده في حربه مع بني كعب. ولما كانت سفن الشركة تكون الاسطول البحري المضمون في شط العرب لذا فقد كان الاعتماد على قوة الشركة شيئا اساسيا في ذلك التحالف.

ولكن الشيخ سلمان الذي مكنته قوته البحرية ان يكون سيدا لمنطقة شط العرب بلا منازع قد احتاط للامر، وكان اسطوله المكون من قرابة مائة زورق بحري ـ من احجام وانواع مختلفة ـ جعله يشرف على تدريب قواته بنفسه ويعالج لهم اساليب القتال البرية والنهرية والبحرية باسلوب يجعل من مقاتليه ذوي خبرة في حرب المستنقعات والشواطيء والقنص والغوص.(١٩)

تحركت قوات هذا الحلف في ربيع عام ١٧٦٥ باتجاهات مختلفة، وكان الحصار قد احكم على الامارة الكعبية من الشمال والشرق من قبل قوات كريم خان، ومن الجنوب والغرب من قبل القوات العثمانية

ويذكر «لوريمر»(٢٠) ان الشيخ سلمان كان ذا عقلية عسكرية فذة، فقد استطاع ان يكسر طوق هذا الحصار بأقل خسارة ممكنة وتراجع امام القوات الزاحفة اليه عبر نهر كارون، وكان يترك المدن خالية من السكان والمؤن مما سبب ضيقاً ومجاعةً للغزاة الامر الذي جعل الفرس تتجه انظارهم الى العثمانيين لانقاذهم من الحالة المتدهورة التي وجدوا انفسهم فيها، ولكن العثمانيين كانوا اعجز من ان يلبوا حاجات الجيش الفارسي **ويزودوه بالمؤن، ما جعلهم يكيلون** الاتهامات بعضهم للبعض الآخر.

اما موقف الانكليز، فانهم شاركوا في إسناد العثمانيين في تحضيراتهم العسكرية، ولكن يبدوا ان اجراءاتهم لم تُجد نفعا لاسيما أنها جاءت متاخرة(٢١).

---

(١٨) Perry, John R., 'The Banu Ka'b: An Ambitious Brigand State in Khuzistan' Le Monde Iranian et l'Islam, Tom I (Geneve-Paris, 1971), PP. 136-7

(١٩) Ibid.p. 137

(٢٠) Lorimer, op. cit., vol. I, pt. II, pp. 1628-9

(٢١) Perry, op. cit., pp. 139-40

وقد بذل كريم خان بعدئذ جهودا خاصة من قبله للقضاء على سيادة الشيخ سلمان الكعبي على شط العرب وعد مسالة الانتصار عليه والاستحواذ على اراضيه قضية تتعلق بالوطنية الفارسية، فبدأ بتهديم سد السابلة وتخريب الاراضي الزراعية في ضفة شط العرب اليسرى وتعرض لبساتين النخيل. وبهذا فانه قضى على الحياة الاقتصادية للامارة وجعلها عرضة للفيضان. ومن جهة اخرى، يذكر «كيرزن» ان احد فروع نهر كارون قد تحول الى واد جاف بسبب تلك التخريبات. (٢٢)

ولكن على الرغم من كل هذا فان الشيخ سلمان بقي ينتظر عقاب الطبيعة للجيش الفارسي، فاختفى في داخل الاراضي العربستانية مما جعل الفرس يملون الانتظار.

وفي هذه الاثناء كرر العثمانيون محاولاتهم للتعرض لقوات الشيخ سلمان، وقد سار جمع بلغ قرابة الخمسة الآف شخص الى عبادان حيث اتخذوها معسكرا لهم لمواجهة الكعبيين، ولكنهم كانوا اعجز من ان يحققوا اي هدف من اهدافهم(٢٣).

وقد واجه الكعبيون تلك المحن بصبر ورباطة جأش، وبعد ان ملت القوى المعتدية الانتظار، طالبت الشيخ سلمان يعقد هدنة لانهاء هذا النزاع غير المجدي، فوافق الشيخ سلمان لاسيما ان رفيقه «المير مهنا» شيخ «بندريق» كان في اشد الحاجة الى مساعدته لمواجهة هجوم بريطاني عثماني عليه. فرأى من واجبه كعربي انهاء خلافاته مؤقتا مع القوى المتحالفة ضده ليتجه الى اداء واجبه القومي.

وهكذا ردت الجيوش الفارسية والعثمانية على اعقابها مندحرة دون ان تسلب شط العرب سيادته العربية.

وكان نصيب الانكليز كنصيب حلفائهم. فقد تعرض الكعبيون الى السفن البريطانية «سالي» و«فورت وليم» وغيرهما وقطعوا الطريق المائي في شط العرب عنها، وبهذا هددوا التجارة البريطانية في المنطقة. وعلى الرغم من الهجمات المتكررة التي شنتها السفن البريطانية الا ان حكومة بومبي لم تتمكن من تحقيق اي نصر يذكر. وكانت قد ارسلت عددا من قواتها وسفنها للمشاركة في تلك المعارك الفاشلة(٢٤). ووصلت الى شط العرب حملة تتكون من ثلاث سفن كبيرة، مع ثلاث سفن صغيرة، وكتيبة صغيرة من المشاة والمدفعية وذلك في ربيع سنة ١٧٦٦. فهاجم الكعبيون الحملة واستولوا على سفنها. وقد بذل المعتمد البريطاني في البصرة محاولات عديدة لاسترداد السفن، ولكن دون جدوى. وقد حاول المعتمد اقناع الشيخ سلمان بجملة وعود واغراءات مادية(٢٥) ولكن الامير العربي رفضها وامر باحراق السفن في مراسيها.

عندئذ قام الانكليز بفرض حصار بحري على الممر المائي لبني كعب في شط العرب دام عامين ولكنهم اضطروا الى رفعه بعد ان تردت حالة السفن المحاصرة(٢٦).

وهكذا ظل بنو كعب غير خاضعين لاحد، واستمروا لفترة طويلة شوكة في جنب الاتراك والفرس والانكليز(٢٧) وحين وجدوا انفسهم احرارا بدأوا يستعيدون القلاع ويحصنونها على ضفتي شط العرب، واخذوا يوجهون الضربات المتلاحقة الى العثمانيين في البصرة.

وازداد نشاطهم في عهد متسلم البصرة سليمان اغا ـ الذي

(٢٢) Curzon, «The Karun River and the South West Persia», in op. cit., vol. II, PP. 343-4

(٢٣) Perry, op - cit., P. 141

(٢٤) للاطلاع على تفاصيل تلك المعارك راجع: Lorimer, op. cit., p. 1639

(٢٥) أنظرها في عبد الأمير محمد أمين، القوى البحرية في الخليج العربي، ص ٤٦ ـ ٤٧.

(٢٦) أبو حاكمة، تاريخ شرقي الجزيرة العربية - نشأة وتطور الكويت والبحرين، ص ١١٣.

(٢٧) ولسن، الخليج العربي، ترجمة أحمد عبد القادر أحمد ص ٣١٢.

اشتهر بسليمان الكبير - (١٧٦٥ - ١٧٧٦) فهددوا امن البصرة[٢٨] وقطعوا تجارتها، واغلقوا الملاحة في شط العرب، وذلك بوقوف ثلاث من سفن اسطولهم في عرضه. وقد استطاع اسطولهم في تموز ١٧٧٣ ان يهاجم دار «قبطان باشا» واحراق المناوى. واستولى على قسم من سفن اسطول الباشا، فأضطر الوالي الى شراء مرضاتهم بالمال. وفي عام ١٧٧٤ اسروا في شط العرب السفينة العثمانية «فيض اسلام» التابعة لاسطول البصرة، ولكن استطاعت سفينة بريطانية انقاذها منهم.[٢٩]

وازاء تلك الانتصارات التي حققها الكعبيون استغل الانكليز وضع العثمانيين في شط العرب وهددوا بالانسحاب اذا لم يحضوا بامتيازات جديدة وبتعويضات عن ما اصابهم في الحرب مع بني كعب. فقبل باشا بغداد ان يتحمل جميع نفقات الاسطول الانكليزي الراسي في شط العرب لقاء الحماية التي يوفرها لاسطول البصرة في وقت لم يكن فيه لدى الباشا اي اسطول يذكر ليدافع به عن البصرة، وليحمي الملاحة في شط العرب. وان انسحاب اسطول شركة الهند الشرقية معناه ترك البصرة تحت رحمة بني كعب. وفي رسالة بعث بها وكيل شركة الهند الشرقية الى لندن ذكر «ان بقاء نفوذ الباشا وسلطاته في البصرة لايعود الفضل فيه الا الى وجود السفن الانكليزية في شط العرب[٣٠].

وعلى الرغم من كل ذلك لم تتخلص سلطات البصرة من هجمات بني كعب. فقد حدث بعد وفاة الشيخ سلمان ان دخل الكعبيون الى جانب كريم خان في حملة على البصرة العثمانية بوساطة اخيه صادق خان انتقاما من العثمانيين والانكليز. وكان كريم خان مدفوعا باطماعه في اخضاع البصرة وبالتالي شط العرب وان ذلك كان سيساعده على اخضاع عمان التي كانت اكثر تجارتها مع هذا الميناء. اضافة الى انه سيؤدي الى احباط السياسة التي اتبعها الوكيل البريطاني في البصرة والتي تهدف الى مقاطعة الموانيء الفارسية وجعل البصرة مركزا رئيسيا للتجارة جميعا[٣١]. وقد بذل موظفو شركة الهند الشرقية جهدهم لمنع الاسطول الكعبي من المشاركة مع الفرس، ولكن دون جدوى[٣٢]. ويذكر لوريمر انه « لولا اسطول هذه القبيلة لما استطاعت القوات الفارسية الحركة»[٣٣].

ويبدو لنا ان الفرس اعترفوا اعترافا فعليا بقوة كعب العربية وسيادتها على شط العرب، ومن هنا طلبوا مشاركتهم الى جانبهم ضد العثمانيين بعد ان عجزوا عن مواجهتهم لوحدهم. وهذا من وجهة نظرنا له اهمية كبيرة، حيث اعترف الفرس بالسيادة العربية على شط العرب واعترفوا بمكانة كعب السياسية.

وتمكن الكعبيون والفرس في ٧ نيسان ١٧٧٥ من فرض حصارهم على البصرة. وكان يقف في شط العرب وقت الحصار اسطول من سفن بحرية بومبي. ويذكر ويلسن ان موقف التجار الانكليز خلال الحصار في البداية كان محايدا على اتم مايكون الحياد. ولكن ضغط الظروف جرهم الى النزاع بعد ان قام اسطول من اربع عشرة سفينة لقبيلة كعب

(٢٨) عدا فترة قصيرة سادت فيها علاقات طيبة بين كعب والسلطات العثمانية في البصرة وقد أعانت سلطات البصرة كعبا ضد المنتفك باعارتها (١٤) سفينة وذلك في خريف سنة ١٧٦٩.

(٢٩) غرابية، مقدمة تاريخ العرب الحديث، ص ١٤٦.

(٣٠) للتفاصيل عن الحملات الموجهة ضد كعب راجع الفصل الخاص بعربستان في: Lorimer, op. cit., pt. I.

(٣١) الغريب أن أحمد مصطفى أبو حاكمة في أطروحته «تاريخ شرقي الجزيرة العربية» (الصفحات ٥٧، ١١٨، ١١٩، ١٣٤) يشير الى وجود المحمرة في هذا الوقت وما قبله. والصحيح أن المحمرة لم يكن لها وجود في هذه الفترة اذ أنها بنيت في سنة ١٨١٢. راجع مصطفى النجار: التاريخ السياسي لامارة عربستان العربية، ص ٩٠.

(٣٢) لأخذ فكرة عن السفن الحربية المستعملة في تلك الفترة من قبل الكعبيين والعثمانيين والانكليز والفرس راجع: مشايخ كعب - تاريخ امارة كعب العربية في القبان والدروق، الملحق الثاني، ص ١٠٥.

(٣٣) Lorimer, op. cit., part I. P. 1850

بالانـدفـاع في الخفاء في اعلى شط العرب[٣٤]. ومن اجل ان يمنعـه من التغلغـل الى الامـام قام الـوكيل البريطاني المستر مور، بالتعـاون مع العثـمانيـين ببناء سد في شط العرب ـ الى الشمال من نهر العشار ـ من القوارب الكبيرة التي تستعمل في نقـل الـركـاب والبضائع، بعد ان ربطت ببعضها بالسلاسل والحبال. وقد تم انجازه في يومين (٢٤ و ٢٥ مارت) للحيلولة دون وصـول الامـدادات الى الفـرس ومنـع المـلاحة في شط العـرب، ولكن ذلـك لم يعق تقـدم قوات الفرس والكعبيين، فقد اجتازوه في ١٣ نيسان سنة ١٧٧٥.

وقد وصلت اثناء الحصار معونة من امام عمان احمد بن سعيد[٣٥] في اب سنة ١٧٧٥، اذ وصل اسطوله واخذ مواقعه في مدخـل شط العـرب. وتمكن الطـراد «الـرحمـاني» من كسر سلسلة وضعهـا الفـرس لعرقلة الملاحة في شط العرب وبذلك استطـاع الاسطـول العثـماني السيطـرة على شط العرب وفتح الملاحة فيه طوال صيف ١٧٧٥ فامن وصول ما تحتاجه البصرة من تجهيـزات. وقـد كافأت الـدولـة العثـمانية امام عمان على صنيعه هذا بأن خصصت له مكافأة سنوية بعدئذ[٣٦].

امـا الانكليـز فقـد نقلوا اثنـاء الحصار وكالتهم من البصرة الى الكـويت،[٣٧] كما ان المقيم الـبريطاني في البصرة المستر مور انسحب من المعركة الى «بوشهر» ومعه السفن البريطانية تاركـا وراءه مقـر الشـركة وبضائعها بغير حماية. وبعد حصار دام اربعة عشر شهرا استسلمت القوات العثمانية في البصرة[٣٨]، وكان ذلك اثناء حكم المماليك للعراق[٣٩].

(٣٤) ويلسن، الخليج العربي، ص ٢٠٨.

(٣٥) سبب اشتراكه أن كريم خان قد طلب مساعدة الأتراك في حربه مع الامام فلم يمنوه بما أراد. ولأجل أن يظهر الامام امتنانه من ذلك سارع في مساعدتهم.

(٣٦) صلاح العقاد، التيارات السياسية في الخليج العربي، ص ٥٢.

(٣٧) أبو حاكمة، المصدر السابق، ص ١٢٨.

(٣٨) علي ظريف الأعظمي، مختصر تاريخ البصرة ص ١٤٣.

(٣٩) للزيادة راجع: جعفر خياط، صور من تاريخ العراق في العصور المظلمة، ج ١ ص ١٨٧ - ١٩٦.

وقـد شرع «صـادق خان» في بناء حصن منيع على الضفة اليسـرى من شط العـرب مقـابل العشار[٤٠]، وما ان وصلته انبـاء وفـاة اخيـه حتى انسحب من البصرة لتحل محله عشائر المنتفك العربية التي قامت باخراج فلول الفرس[٤١].

وقـد استمـرت كعب قوة نشطـة في شط العـرب، تهدد وتتحـدى، وقـامت في سنـة ١٧٨٢ بمهـاجمـة المناطق التابعة للبصـرة على ضفـاف شط العـرب الشـرقية، واستولت على بعض الاجزاء المهمة منها[٤٢].

وفي سنـة ١٧٨٣ هاجم بنـو كعب اسطـول البن العـماني السنوي وهو في طريقه الى البصرة، ولكنهم تراجعوا عنه بعد ان تكبـدوا خسـائر كبيرة. وانتقاما لهذه الهزيمة اقام بنو كعب قواعـد عديـدة لهم على ضفتي شط العرب وحاولوا ان يمنعوا اسطـول عمان من المـرور في طريق عودتـه، الا انـه لم يحدث اشتبـاك يستحق الـذكر. ومنذ ذلك الوقت اخذت السلطات العثـمانيـة تنظـر الى بني كعب بقلق وسخـط لتجـرؤهم على اقامة قواعد لهم في الاراضي العثمانية على الضفة الغربية من شط العـرب، وكـذلك مطالبتهم بالتعويض عن الخسائر التي احـدثتهـا محاولات الهجوم من جانبهم على السفن العمانية. غير ان المسألة انتهت هنا دون حدوث تطورات جديدة.

ولمـا حلت سنـة ١٧٨٤ كانت الحـرب مستمـرة بين كعب والسلطـات العثـمانيـة في البصرة. وقد نجح غضبان بن محمد

(٤٠) هي قريـة «كـردلان» الآن، ومعنى كردلان الأرض العـالية، وقد جعلها الفرس مركزا حربيا لهم.

(٤١) عبـد العـزيـز سليـمان نوار، تاريخ العراق الحديث من نهاية حكم داود باشا الى نهاية حكم مدحت باشا، ص ٢٣.

(٤٢) Lorimer, op. cit., vol. I, pt. II, p. 1945

(٤٣) راجع الملحق الأول في كتاب الدكتور مصطفى النجار: التاريخ السياسي لامارة عربستـان العـربيـة، للاطلاع على معلومات عن أمراء بني كعب - قسم الفلاحية - حتى تلاشي امارتهم.

(١٧٨٢ - ١٧٩٢) في الاستيلاء على جميع الاراضي الواقعة على الجانب الشرقي من شط العرب حتى قرية «كردلان»، بل انه اسكن رجال كعب على الضفة الغربية من شط العرب على بعد عشرة اميال فقط الى الجنوب من مدينة البصرة. وكان في امكانه امتلاك المدينة نفسها ولكنه خشي الاعتداء على اراضيه الواسعة.

ان هذه الانتصارات المتوالية قوت عزيمة قبائل كعب، ومدت نفوذها على جميع عربستان. ويبدو ان الكعبيين كانوا على اتصال دائم بالقبائل العربية الاخرى في قطر والبحرين والكويت وعمان، الا انه لم يحدث ان دخلت تلك القبائل مع بعضها في حلف سياسي، ولم نعثر على ما يؤيد عكس ذلك، فشكل ذلك سببا رئيسيا في زوال السيادة العربية على الخليج العربي بعدئذ.

ومما يلفت النظر في الحياة السياسية للامارة ان نزاعا حادا دَبَّ في صفوف امرائها واسفر عن انقسام - يمكن وصفه بانه خطير - اذ حدث ان اذن رئيسها لشيخ قبيلة «البوكاسب» - احد افخاذ كعب - المدعو «مرداو بن علي بن كاسب»، بالاقامة على مصب نهر كارون، فوضع احد امرائها «الحاج يوسف» اساس بلدة المحمرة سنة ١٨١٢، فكان هذا ايذانا بانقسام بني كعب الى قسمين: قسم بقي في الفلاحية(٤٣)، (وهم البو ناصر)، وقسم انتقل الى المحمرة(٤٤)، (وهم البو كاسب). الا ان المحمرة غدت خصما لبني كعب - قسم الفلاحية - بدل ان تكون ظهيرا لهم(٤٥).

اما التي في الفلاحية فقد انقسمت على نفسها سنة ١٨٤٩، وثار بين افرادها نزاع على الامارة، وشبت حرب

(٤٤) عبد الفتاح ابراهيم، على طريق الهند ص ١٤، درويش باشا، تقرير تحديد الحدود الايرانية - العثمانية، عبد القادر باش أعيان، تاريخ البصرة، والشيخ خزعل هو اخر أمراء البوكاسب في المحمرة.

(٤٥) أحمد الصوفي، المماليك في العراق، ص ١٨٥.

فتكت بقوتهم واغتنمتها فارس للتنكيل بهم الا انها قرّبت امرهم بالتالي للحاج جابر رئيس البوكاسب آنذاك.

وابرز الأحداث مع الفرس بعدئذ هو تعرض الشيخ غيث بن غضبان (١٨١٢ - ١٨٢٩) - احد شيوخ بني كعب - الى ضغط فارسي، ولكننا نلاحظ انه طلب الى سلطان مسقط وعمان - سعيد بن سلطان - ارسال قوات عسكرية وبحرية لغرض وقف الضغط الفارسي على استقلاله(٤٦)، فكفت فارس مرغمة عن ذلك. اما سلطات البصرة فانها اظهرت عجزا تاما في مواجهة قوة كعب النامية، فاستعان متسلمها - عزيز اغا - بالشيخ جابر الصباح، شيخ الكويت، لوقف غاراتهم المستمرة عليه، فكان الهجوم على المحمرة وعبادان في سنة ١٨٢٧ الذي استطاع العثمانيون فيه الاستيلاء على قرية البريم (عبادان) واخذ جميع التمور التي كانت هناك.

وقد انتهت الحرب بالصلح بعد مفاوضات بين الشيخ غيث والوالي داود باشا(٤٧)، وعليه فان السلطات العثمانية في البصرة اخذت - مضطرة - تشتري رضاهم بالسكوت والتغاضي والمال.

وقد ازدادت اهمية شط العرب بعد تشييد مدينة المحمرة عام ١٨١٢، فصارت ميناء تجاريا مهما ترسو به السفن القادمة الى ايران والكويت وغيرهما، واخذت تنافس البصرة(٤٨) - الميناء الوحيد للعراق على شط العرب.

ان منافسة المحمرة للبصرة، والعمل على فض النزاع على تبعيتها، وتأكيد السيادة العثمانية عليها، وتعرض البصرة باستمرار لغارات بني كعب - كان اخرها تلك التي حدثت اثر عزل داود باشا اخر ولاة المماليك في العراق - وعدم اطمئنان

(٤٦) محمود علي الداود، أحاديث عن الخليج العربي، (بغداد - ١٩٦٠) ص ١٧

(٤٧) حسين الشيخ خزعل، تاريخ الكويت السياسي، ج ١ ص ٧٨ - ٨١.

(٤٨) أحمد كسروي، المرجع السالف الذكر، ص ١٨١.

الـدولـة العثـمانيـة لولاء الكعبيـين، دفع بالدولة العثمانية الى احتلال المحمرة احتلالا عسكريا، لاسيما ان الشاه الفـارسي[٤٩] في ذلـك الـوقت كان مشغـولا بمحاصرة مدينة «هـراة» بايران[٥٠]، فاستغل علي رضا باشا اللاز[٥١] الفرصة مدفـوعـا بتحريضات «فونتانيه» ـ قنصل فرنسا المتجول ـ[٥٢] الـذي دفعـه الى الاستيـلاء على المحمرة قبل ان يسبقه اليها الانكليز، اذ كانت المحمرة احد الميادين التي التهبت فيها هذه المنافسات البريطانية ـ الفرنسية.

وقـد وجـد «عـلي رضـا» في فونتـانيـه» مستشـارا سيـاسيـا وعسكريا خلال عمليات الحملة، اذ امده بالخرائط اللازمة، وكتب له اسـماء المـواقع باللغة التركية ليكون من السهل عليه ان يديـر المعـركة[٥٣]. فتوجه الى البصرة بحملة قادها بنفسه سنة ١٨٣٧، تشاركه فيها بعض العشائر العربية، كما التحق به في البصرة الشيخ جابر الصباح ـ شيخ الكويت ـ مع قواته، وتوجهوا الى المحمرة حيث هاجموها بقوتهم البرية والنهـريـة[٥٤]، وبعد قتال استمر ثلاثة ايام تم لعلي رضا باشا الاستيلاء على المدينة بعد ان انسحبت قوات الحاج جابر بن مرداو ـ شيخ المحمرة آنذاك ـ منها، فدك حصونها وهدم دورها وقتـل من اهلهـا خلقـا كثـيرا. ولم تسلم من يده الفـلاحيـة ـ حاضـرة بني كعب ـ فتعـرض لها، مما اضطـر شيخهـا ثامر بن غضبـان (١٨٣٢ ـ ١٨٣٧) الى تركها الى «هنديان» ونصب «عبد الرضا بن بركات» على امارة كعب بمكانه[٥٥].

امـا المحمـرة فالملاحظ انه تركها دون ان يعين عليها حاكما عثـمانيـا، كما انـه لم ينظم ادارتهـا اويربطها بالبصرة، وهذا ما حدا بالبعض الى توجيـه اللوم اليـه وتفسـير حملتـه بانهـا غزو ونهب وعـودة[٥٦]. وقفـل بعـدئـذ راجعـا الى الكويت برفقة الشيخ جابر الصباح الذي ساعده على توطيد نفوذه في منطقة شط العرب وتخليص البصرة من بني كعب[٥٧].

ولم يقـدر لاجـراءات علي رضا باشا ان تدوم طويلا في شط العرب، فسرعان مارجع الحاج جابر الى المحمرة، ومنها عقد العـزم على مقـابلة علي رضـا في الكـويت، فتمت المقـابلة وتفـاهما على تولي الحـاج جابـر شؤون المحمـرة، دون ان تتعرض له الدولة العثمانية في المستقبل، وقبلت منه ولاء رمزيا.

بعد الاحتلال العثماني لامارة الكعبيين، تدخلت فارس في الامـر خوفـا من تطـويقهـا بالقـوات العثـمانيـة من الجنـوب والغـرب، فبـادرت بالاحتجـاج، وارسلت «منـوجهرخان» ـ معتمـد الـدولـة حاكم فارس ـ الى ضفة شط العرب الشرقية متـذرعـاً بحجـج شتى، منهـا عدم ارسـال الشيـخ ثامـر مواد غذائيـة لجيشـه، ومنها ان الشيخ ثامر امتنع عن تسليم «محمد تقي خان» رئيس قبائل البختيارية الذي اعلن العصيان على الـدولـة القـاجـاريـة عنـدمـا التجأ إليه، فما كان من «معتمد الـدولـة» الا احتـلال عربستـان (١٨٤٠ ـ ١٨٤٢)، فهـرب الشيخ ثامر من «هنديان» الى الكويت.

---

(٤٩) عبد الواحد باش أعيان، ج ١١، ص ٣٤٨.

(٥٠) أحمد كسروي، ص ١٨٢.

(٥١) هو علي رضـا باشـا الـلاز الطرابزوني، من وزراء الدولة العثمانية، كان ينتقل في وظـائف الـدولـة حتى وجهت اليه رتبة الوزارة وولاية حلب. قضى على داود باشا في العراق وتولى على اثر ذلك ولاية بغداد (١٨١٣ - ١٨٤١) ثم نقل الى ولاية دمشق وفيها كانت وفاته. أنظر: المدني، خمسة وخمسون عاما من تاريخ العراق، ٢ - ٣.

(٥٢) عين بعد القضاء على المماليك في العراق قنصلا لفرنسا في البصرة وقد قام بدور مهم في تبصير حكومته بأحوال العراق وعربستان وأوضاعها العامة ومدى تقدم النفوذ الانكليزي فيها.

(٥٣) Fontanier, Voyage dans l'Inde et le Golf Persique par l'Egypte et la Mer Rouge, I, pp. 374-5

(٥٤) محسن الأمين، أعيـان الشيعـة، ج ١٥ ص ١٩٣ - ١٩٥، يوسف القنـاعي، صفحات من تاريخ الكويت، ص ١٥ ـ ١٦، محمد خليفة النبهاني، التحفة النبهانية في تاريخ الجزيرة العربية، ج ٩، ص ٣١٤

(٥٥) العزاوي، تاريخ العراق بين احتلالين، ج ٧ ص ٣٨

(٥٦) العزاوي، المصدر السابق، ص ٤٠

(٥٧) جمال زكريا قاسم، الخليج العربي، ص ٢٠

وقد اقر «منوجهرخان» عبد الرضا بن بركات اميرا على كعب بادىء الأمر الا انه عاد فاصدر امرا بتولية المولى فرج الله المشعشعي **الفلاحية**[٥٨] ولما رفضت السلطات العثمانية تسليم الشيخ ثامر له ضغط على بني لام فاضطر الى الفرار داخل الاراضي العثمانية، كما هبطت عشائر الفيلية الفارسية **من جبالها منقضة على مضارب بني لام.**[٥٩]

اضافة الى ذلك طالبت فارس بالتعويض عن الخسائر التي الحقها الجيش العثماني بالامارة، فبات من الضروري ان تقرر الدولتان اجراء مباحثات جديدة[٦٠]، وكانتا منهوكتين من النزاع الطويل، لاسيما ان انكلترا ـ الطامعة باملاك الدولة العثمانية ـ وروسيا ـ التي تقف بجانب الفرس ـ قد تدخلتا في الامر وضغطتا على الدولتين المتنازعتين لقبول وساطتيهما لحسم مابينهما من خلاف بلغ حداً خطيراً سنة ١٨٤٢ على اثر تولية «نجيب باشا» (١٨٤٢ ـ ١٨٤٧) ولاية بغداد وكان يصر على ان يكافح من اجل فرض السيادة العثمانية على كل جزء من الاجزاء المشكوك في ولائها للسلطان، وقد اخذ يهدد فارس بالشيخ ثامر الذي التجأ الى العثمانيين فكان رد الفعل الفارسي المطالبة بضفة شط العرب الشرقية حتى القرنة[٦١]. وكادت تقع بين الطرفين معركة عنيفة لولا تدخل روسيا وانكلترا وتشكيل لجنة رباعية لحسم الخلاف[٦٢]. فوضعت بريطانيا مشاريع لتحديد بين الدولتين كان نصيبها الاكبر من الجانب الروسي،[٦٣] فكان موقف بريطانيا من ذلك يعدل ان امتنع «ابردين» – وزير الخارجية – عن تأييد ضم عربستان الى فارس ذلك لان بريطانيا اصبحت تسعى الى فتح منطقة كارون للمشروعات التجارية والملاحية.[٦٤] وبعد عدة اجتماعات مطولة بين اطراف النزاع استمرت اكثر من ثلاث سنوات، تعرضت اعمال المؤتمر الى التوقف بسبب هجوم قوات نجيب باشا على كربلاء سنة ١٨٤٣، فاستغل الفرس ذلك سياسيا على مائدة المفاوضات،[٦٥] ومما طالبوا به دفع تعويضات عن الخسائر التي لحقت بعربستان خلال احتلال «علي رضا» للمحمرة، فكان رد السلطان على ذلك المطالبة بانسحاب الفرس من المحمرة. وهكذا اشتدت الازمة وارسلت الدولة العثمانية سفينة حربية سنة ١٨٤٦ الى الكارون لغرض تحويل تجارة المحمرة الى البصرة بعد ان كادت تجارة البصرة ان تتلاشى. واخذت هذه السفينة ترغم القوارب المتجه الى المحمرة على المرور بالبصرة لدفع الرسوم الكمركية ثم السماح لها بالرسو في المحمرة فاعترضت فارس على هذا الاجراء وأيدتها بريطانيا،[٦٦] فأضطرت الدولة العثمانية أخيراً الى سحبها.

وأخيراً، لما وجدت اطراف النزاع ان مشكلات الحدود ستحتاج الى وقت طويل، فضلت عقد معاهدة تنص على حل بعض المشكلات القائمة، وان يترك البعض الآخر للدراسة، فكانت معاهدة ارضروم الثانية في ٣١ آيار ١٨٤٧

(٥٨) M. sykes, History of persia (Macmillan, London 1921) Vol.2, P.366.

(٥٩) الندواني، عبد الكريم، تاريخ العمارة وعشائرها (بغداد ١٩٦١)، ص ٧٢.

(٦٠) عقدت الدولتان الفارسية والعثمانية سلسلة من المعاهدات بشأن الحدود بينهما، اهمها:
معاهدة قصر شيرين في عهد السلطان مراد الرابع سنة ١٦٣٩ (وقد اعترفت الدولة الصفوية بعائدية العراق نهائيا للدولة العثمانية)، ومعاهدة أمير أشرف سنة ١٧٢٧ (وبموجبها دخلت منطقة الحويزة تحت نفوذ الدولة العثمانية)، ومعاهدة نادر شاه سنة ١٧٤٦ (وهي تأكيد لمعاهدة سنة ١٦٤٩)، ومعاهدة أرضروم الاولى سنة ١٨٢٣ (وقد اعتبرت من الوثائق المهمة في حينها، الا أنها لم تحسم الخلاف بصورة نهائية، وبقي كثير من الأمور معلقا وعلى الأخص مشكلة عربستان). أنظر نصوص المعاهدات في: شاكر صابر الضابط العلاقات الدولية ومعاهدات الحدود بين العراق وايران، ص ٢٩ ـ ٦٢.

(٦١) عبد العزيز نوّار، المرجع سالف الذكر، ص ٣٣٣.

(٦٢) جريدة البلد ـ العدد ٢٥٤، اذار ١٩٦٥، «عربستان». صلاح العقاد، الاستعمار في الخليج الفارسي، ص ١٥٨، محمود الدرّة، القضية الكردية، ص ٦٤ ـ ٦٥.

(٦٣) الدرّة، المصدر السابق، ص ٦٥، اذ أن روسيا كانت تطمع في ان تفتح منطقة كارون وجنوب غربي فارس لنفوذها كي تصل الى البحار الدافئة.

(٦٤) Lorimer, op. cit., vol. 1, part I, p. 1375 نظرا لما كانت عليه منطقة عربستان من أهمية للمشروعات البريطانية التجارية وخطوط المواصلات. عني تيلر (القنصل البريطاني في بغداد) بابلاغ سفير بريطانيا في القسطنطينية بتطورات الموقف في عربستان، الا أن التوصل الى حقيقة الأوضاع في المنطقة كان أمرا صعبا للغاية.

(٦٥) يبدو أن الفرس بالغوا كثيرا في أزمة كربلا وتقدموا بمطالب عدّة الى الدولة العثمانية ـ للاطلاع عليها راجع: عبد العزيز نوّار المرجع سالف الذكر ص ٣٣٧

(٦٦) Lorimer, op. cit., pp. 1378 - 80

التي عقـدت ايـام السلطـان العثـماني عبـد المجيـد والشـاه الفارسي محمد.

من دراستنـا السـابقـة يتضح ان شيوخ كعب رفضوا على الدوام النزول عن سيادتهم لكل من فارس والدولة العثمانية، كما يتبـين لنـا ان علاقـة الاقليم بالعـراق - ولا سيـما البصرة - كانت اوثق منهـا مع فارس. والعـوامـل الجغـرافيـة والتاريخية والبشـرية تكون قوة دافعة للتمازج الوثيق بينهما. فجهات شط العـرب الشـرقيـة مفتوحة الى العراق، اما مع فارس فهنالك جبـال شاهقـة تشكـل سداً منيعـاً يصعب اجتيـازه.(٦٧) اما الصـلات العشـائـريـة بين بني كعب العـراق وبني كعب عربستـان، فلا يمكن التغـاضي عنهـا والتقليـل من قيمتها، فهي رابطة دم، وعرق، ونسب، ولغة، ومصير، وكيان،(٦٨) فلا غرابـة ان يحصـل هنـاك تداخـل اجتماعي واقتصادي بين البصـرة وعـربستـان، وكـان من مظـاهـرالمصـاهرة بين اهل المنطقتـين، وارتبـاطهم بوشـائـج القـرابـة المتينـة، وصار من المستحيـل فصـل بعضهم عن بعض، كما امتلك كثيرون من اهـالي البصـرة الاقطـاعيـات الـواسعـة في اراضي ضفة شط العرب اليسرى، وكانوا يؤدون خراجها الى «الدولة العلية العثمانية».(٦٩)

وهـذا يفسـر لنـا كيف اعتبرت منطقة شط العرب الشرقية من سواد العراق،(٧٠) ودخلت ضمن حدود البصرة.(٧١)

---

(٦٧) Sykes, History of Persia, vol. II, (London, 1921) p. 366

(٦٨) عبد الكريم الندواي، تاريخ العمارة وعشائرها، ص ٧٢.

(٦٩) عبد الواحد باش اعيان، ج ١١ ص ٣٤٣، ويذكر ان اكثر اهالي البصرة امتلاكا للاراضي في عربستان هو بيت الكواوزة (اسرة آل باش اعيان العباسيين في البصرة).

(٧٠) Wilson, op. cit., p. 42

(٧١) فصيح الحيدري، أحوال البصرة، ص ٢٧.